



إهانة الآخر في مجتمعنا فنُّ نتقنه، ونطوره ونحسنه، نرثه ونورثه، نعلمه لأطفالنا، وينشأ عليه شبابنا، ونحاسب أنفسنا إن قصرنا في رد الإساءة، أو عفونا عن مقدرة، أو سامحنا عن إرادة لا عجز، أو تجاوزنا عن رغبةٍ ومحبة، فلا مكان عندنا للصفح الجميل، ولا للكلمة الرقيقة، ولا للابتسامة الجميلة، ولا للفتة الحلوة، ولا قدرة عندنا على الاستيعاب وكظم الغيط والعفو عن الناس.

غضبنا كالبركان، يحرق ويذمر ويخرج، يثور فجأةً، وتتصاعد حممه بسرعة، وتعلو ألسنته كالشياطين، ولساننا كالبنديقية الآلية، سريع الطلاقات لا يتوقف ولا يتغير، ولا يستريح ولا يستكين، وشياطيننا حاضرة، جاهزة ومستعدة، من الإنس والجن على السواء. كلها يتبارى مع الآخر، أيهم يكون أسرع غضباً، وأشد لعناً، وأفسي وجعاً وإيلاماً.

قاموسنا ثريٌّ زاخر، مفرداته كثيرة وغزيرة، وقرائحتنا لا تنضب ولا تجف، وقدرتنا على الإبداع والخلق عالية، لدينا القدرة على التركيب والتبدل والتغيير، لتكون الشتائم واللعنات بلغةً قاسية، غريبةً عجيبة، شتائم لا يعرفها السابقون، ومسباتٌ غريبة ما وردت على كثير من السامعين، يستنكراها الكبار، ويحفظها الصغار، تطال الأب والأم، والشرف والعرض، والزوجة والأخت.

بعضها من إنتاجنا ومن واقع بيئتنا ومجتمعنا، وأخرى استحضرناها معنا من الغربة، أو استوردناها من الأجنبي، الوافد أو المحتل، فجاءت هجينًا بين لعناتها وشتائمهم.

وأخرى تتطاول على الذات الإلهية، وال المقدسات الدينية، وتعتدي على الحرمات والمقدسات، ولا تستثنى قيمةً من قيم الدين إلا وتنبهها وتشتمها،

وغيرها تثال من الرسول الأكرم، محمد - صلى الله عليه وسلم - وزوجاته أمهات المؤمنين، الطاهرات العفيفات، وتمتد الشتائم واللعنات لتشمل بقية الأنبياء والمرسلين، من أصحاب الكتب والرسالات، من لدن آدم - عليه السلام - وصولاً إلى

ولا حرمة لرجلٍ عجوز، أو كبيرٍ وقور، يبدو على هيئته الاحترام، وعلى شكله الوقار، وتظهر على وجهه سيمان الهيبة والتقدير، ولا حرمة لميتٍ ولا كرامة لحيٍ، ولا رحمةً لضعيفٍ أو مريض، ولا حرص على طفلٍ صغير، ولا خجل من امرأةٍ أو فتاة، صغيرةً كانت أو كبيرة، ولا مراعاة لحشمةٍ أو عيبٍ، ولا حياء من أخت، ولا خوف من أم، ولا حرص على مشاعر المرأة، بل خدشٌ لكرامتها، وإهانةً لمشاعرها، وإساءة لنفسها وأنوثتها، واعتداءً عليها، وتطاولٌ على جسدها، الشرطي يشتم، والموظف يرفع صوته ويصخب، ورجل الأم安 يسب ويلعن، ويهدد وتوعد، والطفل الصغير في الشارع يلعن، ويرفع صوته بغرير الشتائم ولا يخاف، إذ لا يردعه كبير، ولا يحاسبه مسؤول، ولا تؤبه أم، ولا يعنفه أب، ولا يمنعه أو يعاقبه قانون.

الرجل يلعن، والمرأة ترفض أن تكون أقل من الرجل فتلعن، وتبسب وتشتم، وتباري الرجال بكلماتها، وتنافسهم بمخزون مفرداتها، إذ لديها أكثر من الرجال، وعندما ما يميزها كأنثى، ردحاً وارتفاعاً في الصوت، وافتراءً وادعاءً واتهاماً وأحياناً استخداماً للحذاء الذي تتعلّل أو تجد.

المثقف كما الجاهل يستويان ولا يختلفان، يلعنان ويشتمان ويسبان، وال المتعلمون كما الأميين يتتساون في أوقاتٍ ويتطابقون في ساعات، فتتلاشى الفروقات، وتسقط الفوارق، فيتباريان أيهما أسرع غضباً، وأشد سباً ولعناً.

أليست هذه المظاهر غريبة وعجيبة، ومستنكرة ومدانة، ومرفوضة وغير مقبولة، وهي وإن لم تكن ظواهر عامة، شائعة وواسدة، إلا أنها في نفس الوقت موجودة بيننا، لا نخفينا ولا ننكرها، ولا نحاول الإدعاء بأنها ليست قائمة، ولا نخفف منها ولا نقلل من أخطارها ومساؤها، في الوقت الذي لا نستطيع فيه علاجها، ولا ننجح في محاربتها، رغم أنها تخالف الشرع الإسلامي الحنيف، وتعارض مع قيم الحضارة والمدنية، وتناقض مع الذوق واللباقة، وتتنافي مع الحس المرهف، والخلق النبيل، وتعارض مع درجات الثقافة والعلم، ما يوجب علينا محاربتها في أنفسنا أولاً قبل مطالبة الآخرين بالامتناع عنها، والتوقف عن استخدامها واللجوء إليها.

المصادر: